المؤرخ العربي

مجلة فصلية تاريخية محكمة تعنى بشؤون التراث والتاريخ العربي والعالمي

العدد 52 ـ 1416هـ ـ 1995م

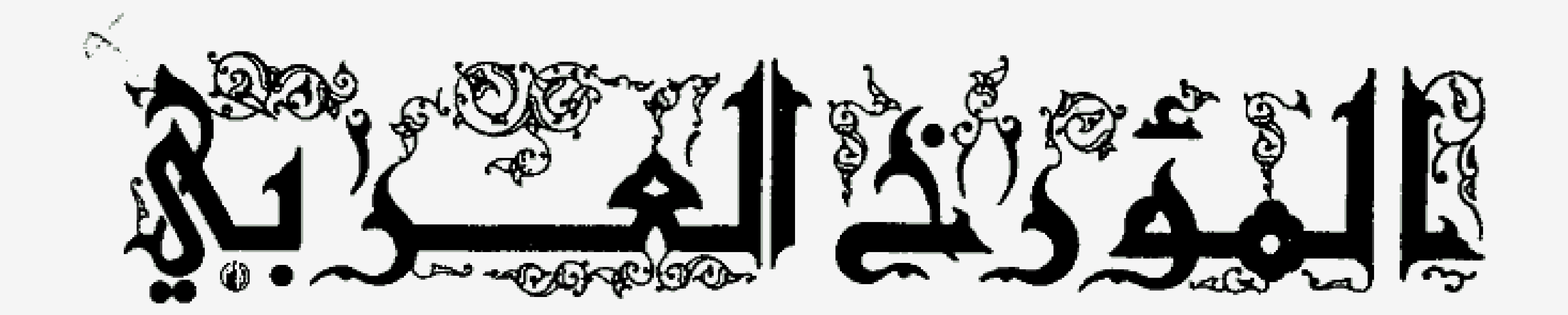


تصدر عن

الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب

بغداد


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



مجلة فصلية تاريخية محكمة تعنى بشؤون التراث والتاريخ العربي والعالمي



تصدر عن الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب/ بغداد

العدد 52 ـ 1416هـ ـ 1995م

بطاقة الاشتراكات

مجلة المؤرخ العربي - العنوان
الدكتورة رناد الخطيب عياد
مديرة التحرير
ص. ب ٩٢٢٠٩٤/١١١٩٢
عمّان - الأردن

قيمة الاشتراك للاقطار العربية
٥٠ دولاراً للمؤسسات الرسمية
٢٥ دولاراً للمؤرخين وطلبة معاهد التاريخ

للاقطار الأخرى
١٥٠ دولاراً
٥٠ دولاراً

هاتف: ٦٦٢٨٢٨/٩٦٢٦
فاكس: ٦٧٦٦٥/٩٦٢٦

ارجو قبول اشتراكي في مجلتكم لمدة سنة واحدة

الاسم: ....

العنوان: ....

المدينة: ....

القطر: ....

التاريخ: ....

ايرجى ارسال قائمة بالحساب وتجدون طياً صكاً بقيمة ....

Subscription card

Please enter my subscription for

Address:

Dr. Rinad Ayyad

Arab Historians Union Culture Attache

Tel. 662828. Fax. 677665. P.O.Box 922094. Amman-Jordan

One year $ 150 for institutions

$ 50 for Historians & Students of History

Please Bill me

Check enclosed for ....

Name ....

Address .... Country ....

City ....

Date ....

هيئة التحرير

العلاقات العمانية الامريكية

في القرن التاسع عشر

د. رأفت غنيمي الشيخ
عميد معهد الدراسات الآسيوية
جامعة الزقازيق مصر

أولاً: السيد سعيد وعصره

يعتبر عصر السيد سعيد بن سلطان - وهو حفيد مؤسس أسرة البوسعيد الحاكمة في عمان - من ازهى العصور التي مرت بعمان خلال القرن التاسع عشر إن لم يكن أكثرها ازدهاراً رغم الصعوبات الكثيرة التي واجهته في بناء الدولة. ويرى المؤرخون أن السيد سعيد بن سلطان هو بلا شك أبرز الشخصيات في أسرة البوسعيد التي لعبت دوراً في تاريخ عمان والخليج وشرق افريقيا، ولا نكون مبالغين إذا اعتبرناه من الشخصيات الهامة جداً في تاريخ العرب الحديث والمعاصر(١).

ومنذ توليه الحكم في عمان - عام ١٨٠٦ واجهته صعوبات شتى في الداخل كالخلافات مع بعض القبائل التي تسعى إلى نبذ السلطة والتمتع بالاستقلال كما هو حال القبائل على امتداد الوطن العربي وكذلك منافسة القواسم من رأس الخيمة على الملاحة في الخليج العربي إلى جانب الصعوبات الخارجية التي واجهته والتي تمثلت في الغزو الوهابي لمنطقة الظاهرة في عمان واستيلائهم على واحة البريمي إلى جانب محاولة الفرس منذ الأربعينات من القرن التاسع عشر انتزاع ميناء بندر عباس الواقع على الساحل الشرقي للخليج من الحكم العماني.

كل تلك الصعوبات استدعت من السيد سعيد بن سلطان البحث عن خلفاء للمساعدة في التخلص منها ومن ثم اتجهت انظاره نحو أقطار أخرى عربية مثل مصر وأقطار أجنبية مثل الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا.

فبالنسبة لعلاقات السيد سعيد بن سلطان بمصر وحاكمها محمد علي فقد اتصفت العلاقات بين الرجلين بالتقدير المشترك غير المندفع، ورغم أن الرجلين كانا في مواجهة مع النشاط الوهابي في الجزيرة العربية إلا ان الرسائل المتبادلة بين السيد سعيد ومحمد علي كانت قليلة وإن كانت قد عبرت عن اعجاب السيد سعيد بالبناء الحديث للدولة الذي أقامه محمد علي في مصر كما عبرت عن وجود رغبة لدى السيد سعيد في إقامة علاقات أوثق مع باشا مصر(٢).

وتمشياً مع هذه العلاقة الودية بين الرجلين، وانطلاقاً من تقدير محمد علي للدور الذي قام به السيد سعيد بن سلطان في مقاومة النشاط الوهابي في عمان في الفترة من عام ١٨٠٦ - ١٨١٨.... فقد أحسن محمد علي وشريف مكة يحيى بن سرور استقبال السيد سعيد عندما ذهب للحج عام ١٨٢٤م إذ ارسل محمد علي مجموعة من كبار ضباطه لاستقباله وتحيته، واطلقت المدافع في جدة حينما اقتربت السفينة العمانية (ليفربول) المقلة للسيد سعيد من الميناء، وعند عودته من الحج

(١) د. صلاح العقاد: **التيارات السياسية في الخليج العربي**، القاهرة ١٩٧٤، ص ١١٦.
(٢) المرجع نفسه، ص ١٣٩.

إلى مسقط حمل معه هدايا كثيرة من محمد علي ومن شريف مكة.

واستمرت الصلات بين الرجلين ودية رغم موقف بريطانيا العظمى المعادي للنشاط المصري في الجزيرة العربية وفي الخليج العربي بصفة خاصة، ذلك الموقف الذي لم يكن باستطاعة السيد سعيد تجاهله نظراً للعلاقة الخاصة التي ربطت بينه وبين البريطانيين الذين ساعدوه ضد اعدائه، ورغم ذلك لم يأخذ السيد سعيد من محمد علي موقفاً عدائياً، بل إن الوثائق المصرية تشير إلى أن السيد سعيد بعث رسالة إلى محمد علي في عام ١٢٥٥ هـ الموافق ١٨٤٠م وطلب فيها بالحاح سرعة ارسال أحد جنود المدفعية أي أحد الجنود العاملين على المدافع الحربية[٣].

وأما علاقة السيد سعيد بن سلطان بالدول الأجنبية فقد تمثلت في ترحيبه بعقد اتفاقية تجارية مع الولايات المتحدة الامريكية عام ١٨٣٣م وترحيبه بوجود قنصل امريكي في السلطنة... كما تمثلت تلك العلاقات في عقد معاهدة بين السلطنة وبريطانيا في مايو ١٨٣٩م التي تعلقت معظم نصوصها بتنظيم التجارة والملاحة بين البلدين وتقديم التسهيلات البحرية للسفن البريطانية في موانئ السلطنة إلى جانب النص على اعطاء القنصل البريطاني في السلطنة الحق في الفصل في المنازعات التي تحدث بين الرعايا البريطانيين المقيمين فيها كما يؤخذ رأيه في القضايا التي تنشأ بين الرعايا البريطانيين وبين العرب.

كما تمثلت علاقات السلطنة الخارجية كذلك في عقد معاهدة تجارية مع فرنسا عام ١٨٤٤م حصلت فرنسا بمقتضاها على نفس الامتيازات التجارية والقضائية التي نصت عليها معاهدة عام ١٨٣٩م مع بريطانيا العظمى.

ثانياً: الولايات المتحدة وعلاقاتها بالوطن العربي

اعلنت الولايات المتحدة الامريكية استقلالها عام ١٧٧٦م ومن ثم جاء اهتمامها بالأقطار العربية عامة وأقطار الخليج العربي والجزيرة العربية بصفة خاصة متأخراً عن اهتمامات الدول الغربية الأخرى مثل البرتغال وهولندا وفرنسا وبريطانيا... إذن جاء اهتمام امريكا بالوطن العربي متأخراً عن غيرها من دول العالم بسبب تأخرها في حصولها على الاستقلال ولأنها عندما حصلت على استقلالها تمثلت بسياسة مؤسسها الأول (جورج واشنطن George Washington) الداعية إلى العزلة وهي السياسة التي سارت عليها الولايات المتحدة لمدة زادت عن قرن من الزمان[٤].

ونتيجة لذلك جاءت علاقة الولايات المتحدة بالوطن العربي على استحياء بما يتمشى مع امكانيات الدولة الجديدة ومع رغبتها في التفرغ للبناء الداخلي على الأرض الامريكية دون تدخل من الغير ودون أن تنغمس في مشكلات الآخرين كما اشار إلى ذلك الرئيس جيمس منرو James Monroe في تصريحه الشهير عام ١٨٢٣م.

ورغم أن أقطار الوطن العربي كانت مجهولة للامريكيين فيما عدا ما قرأوه عنها في الكتب مثل (ألف ليلة وليلة) و(تاريخ فراعنة وادي النيل)، ورغم ان سكان تلك الأقطار كانوا يجهلون كل شيء عن الامريكيين فإن الولايات المتحدة كانت منذ فجر استقلالها في أواخر القرن الثامن عشر راغبة في ابرام معاهدات ودية وتجارية مع دول أوروبا تفتح أبواب التجارة أمام التجار الامريكان في أوروبا وأقطار شمال افريقيا العربية وقد نجحت بالفعل في تحقيق هذا الهدف سواء في الأقطار العربية بشمال افريقيا أو تلك الأقطار في المشرق العربي.

وكانت دولة العلويين بالمغرب الأقصى - المملكة المغربية الحالية - أول قطر عربي يعترف باستقلال الولايات المتحدة الامريكية وقد سارت العلاقة بين الطرفين قوية وودية منذ ذلك الحين فنجد مثلاً ان الكونجرس الامريكي اقترح على الحكومة أواخر الثمانينات من القرن الثامن عشر عام ١٧٨٦م عقد معاهدة صداقة وتجارة مع المغرب الأقصى كما أنه طلب وساطة المولى محمد بن عبد الله حاكم المغرب لدى نيابات تونس وطرابلس الغرب لوقف هجمات سفنها على السفن التجارية الامريكية العاملة في البحر الأبيض المتوسط.

وعندما انتخب جورج واشنطن رئيساً للولايات المتحدة الامريكية عام ١٧٨٩م اشاد في رسالة بعث بها إلى الحكومة المغربية بالعلاقات الودية التي تربط البلدين منذ فجر الاستقلال الامريكي. والواقع أن مراسلات المولى محمد بن عبد الله مع الكونجرس الامريكي منذ اعلان الاستقلال الامريكي تعتبر أول اعتراف دولي بحكومة الولايات المتحدة الامريكية ولن تنسى الولايات المتحدة ذلك للمغرب. وكانت القنصلية

(٣) دار المحفوظات التاريخية: محافظ الحجاز رقم ٢٦٩ وثيقة ٣٨ بتاريخ ١١ ذو القعدة ١٢٥٥هـ.

(٤) د. سمعان بطرس: **العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين**، ج ١ ص ٢٧٦.

الامريكية في مدينة طنجة المغربية التي قامت عام ١٨٢٠م أول قنصلية أجنبية في المغرب(٥).

وإذا كان المغرب أول قطر عربي يقيم علاقات ودية وتجارية مع الولايات المتحدة الامريكية، فإن سلطنة عمان كانت القطر الثاني الذي أقام هذه العلاقات على المستوى العربي ككل والقطر العربي الأول في منطقة الخليج والجزيرة العربية. ولعلنا نجد تشابهاً بين القطر المغربي والقطر العماني في النظر إلى الولايات المتحدة آنذاك باعتبارها دولة حديثة الاستقلال عن بريطانيا ذات التاريخ الاستعماري في العالم، وعن فرنسا مثيلتها وباعتبارها تسعى لتحقيق مصالح اقتصادية وليست لها نوايا استعمارية واضحة، هذا بالإضافة إلى إنه لم تكن للعرب معها على الأقل خبرة استعمارية مؤلمة تجعلهم يتشككون أو يتخوفون من إقامة علاقات معها. ومن ثم سعت المغرب إلى تكوين علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة في مواجهة التآمر الاستعماري الأوروبي على المغرب كما سعت سلطنة عمان إلى إقامة علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة تحقيقاً للتوازن مع القوى الأجنبية الأخرى الطامعة في مد نفوذها على منطقة الخليج والمحيط الهندي وشرق افريقيا.

ويجب أن نلاحظ ان الولايات المتحدة الامريكية حريصة كل الحرص على توفير الأمن والرعاية لمصالحها الاقتصادية في العالم ومن ثم لم تكن لتقف مكتوفة الأيدي إذا ما تعرضت تلك المصالح للخطر. ولعلنا لا ننسى في هذا المجال قصة السفينة الحربية الامريكية المسماة (فيلادلفيا) في مياه طرابلس الغرب في عهد يوسف القرمانلي أول القرن التاسع عشر(٦).

وتفصيل ذلك أن يوسف القرمانلي باشا انذر الولايات المتحدة عام ١٨٠٠م بأنه ما لم تدفع السفن الحربية الامريكية المارة في البحر المتوسط جزية وهدية سنوية لحكومته فإن سفنه سوف تهاجم السفن الامريكية وتسلبها ما تحمله ولكن الحكومة الامريكية رفضت الخضوع لتهديدات الباشا فتعرضت السفن الامريكية لهجوم من سفن يوسف باشا مما دفع الرئيس الامريكي إلى تكليف بعض القطع البحرية الامريكية بمعاقبة الباشا، وبالفعل حاصرت هذه القطع ميناء طرابلس الغرب واخذت تضربه بالقنابل.

وحدث أثناء ضرب القطع البحرية الامريكية لميناء طرابلس الغرب ان جنحت إحدى هذه القطع على شاطئ الميناء وتدعى (فيلادلفيا) في ٣١ اكتوبر ١٨٠٣م فأسرها جنود يوسف باشا وأخذوا بحارتها البالغ عددهم ٣٠٠ رجل أسرى، ورفض يوسف باشا اطلاق سراح السفينة الامريكية فيلادلفيا وبحارتها إلا إذا تعهدت الولايات المتحدة بدفع مطالبه السابقة، ومن ثم اتجهت الولايات المتحدة إلى أسلوب آخر تجبر به الباشا على اطلاق سراح السفينة وبحارتها وتولى هذه العملية القنصل الامريكي في تونس ويدعى (ايتون)(٧).

قام ايتون باقناع أحمد القرمانلي المقيم بمصر منذ ان فر من طرابلس الغرب أمام بطش أخيه الاصغر يوسف باشا بأن يرافق حملة عسكرية قوامها البدو والمالطيون واليونانيّون لكي يستعيد حكم الولاية من أخيه يوسف. وبالفعل استطاعت الحملة العسكرية احتلال مدينة درنة في ٢٦ أبريل عام ١٨٠٤م مما اجبر يوسف باشا على فتح باب المفاوضات مع الامريكيين حيث قبل اطلاق سراح السفينة الامريكية (فيلادلفيا) وبحارتها الأسرى مقابل ٦٠ ألف قرش بدل ٤٠٠ ألف قرش كان يوسف باشا قد طلبها من الامريكيين، كما تعهد بعدم التعرض للسفن الامريكية ومن ثم قام (ايتون) بالعمل على عودة أحمد القرمانلي إلى مصر وانهاء الحملة العسكرية التي قادها ضد يوسف باشا وإن كان الامريكان قد نجحوا في إحراق السفينة في الميناء قبل الاتفاق مع الباشا(٨).

كما يجب أن نلاحظ ان البعثات التبشيرية الامريكية أخذت تزاول نشاطها في الأقطار العربية منذ أوائل القرن التاسع عشر حيث بدأت تنشئ مستشفيات ومدارس وكنائس في كل من مصر وسوريا ومنطقة الخليج العربي منذ عام ١٨١٩م.

ومن هنا فإن عقد اتفاقية بين سلطنة عمان والولايات المتحدة الامريكية عام ١٨٣٣م جاء متمشياً مع سياسة الولايات المتحدة في المنطقة العربية بمعنى ان قيام سلطنة عمان بتوقيع مثل هذه الاتفاقية لا يمكن النظر إليه على أنه عمل منفرد قامت به السلطنة دون غيرها من الأقطار العربية.

ومما تجدر الإشارة إليه ان المركز التبشيري الثالث للارسالية الامريكية في منطقة الخليج العربي كان قد انشئ في مسقط في عام ١٨٩٤م وعهد إلى الأب (صمويل زويمر) بالاشراف عليه وقد قام زويمر في عام ١٨٩٦م ورفاقه

(٥) د. جلال يحيى، **المغرب الكبير**، القاهرة ١٩٦٩، العصور الحديثة ص ٧٤.

(٦) د. رافت الشيخ، **في تاريخ العرب الحديث**، القاهرة ١٩٧٥، ص ١٠٨.

(٧) د. نقولا زيادة: **ليبيا من الاحتلال البريطاني إلى الاستقلال**، القاهرة ١٩٥٨، ص ٤٧.

(٨) جلين تكر ترجمة عمر الديراوي أبو حجلة: **معارك طرابلس بين الأسطول الليبي والأسطول الامريكي في القرن التاسع عشر**، ص ٤١٩ ـ ٤٤١.

برحلات من مسقط امتدت إلى المناطق الداخلية... واخذ زويمر في طبع الكتيبات الدينية واوعز إلى أحد الدعاة المسيحيين بتوزيع كتيبات دينية في إحدى مناطق عمان المتميزة بالاستقرار(٩).

وبالنسبة للنشاط الاقتصادي الامريكي، فقد اجتذبت عمان اهتمام الامريكيين في الثلث الأول من القرن التاسع عشر لوقوع السلطنة في طريق الهند والشرق الأقصى، كما أنها مركز للعلاقات مع بقية أقطار الوطن العربي وايران وافريقيا(١٠).

ثالثاً: الاتفاقية التجارية بين السلطنة والولايات المتحدة عام ١٨٣٣م

تمتعت سلطنة عمان في عهد السيد سعيد بن سلطان باستقلال امتازت به عن غيرها من أقطار الخليج العربي، كما تميزت بامتدادها حتى شرق افريقيا حيث صار للسلطنة جناح افريقي في زنجبار إلى جانب القلب الذي مقره مسقط في مدخل الخليج العربي. ورغم ان زنجبار ظلت خاضعة لحكم سلطنة عمان منذ منتصف القرن السابع عشر الميلادي إلا أنها لم تلق العناية الكافية للتنمية والتطور حتى اتجه إليها السيد سعيد بن سلطان في العشرينات من القرن التاسع عشر... حيث ادخل زراعة القرنفل في زنجبار واعتبره محصولاً تجارياً، وحيث انشأ عدة مزارع على الأرض الافريقية ودفع بالتجار العمانيين للتوغل في القارة الافريقية للمتاجرة مع الافارقة... كما قدم مساعدات ذات أثر كبير في نجاح رحلات المستكشفين الاوروبيين داخل افريقيا الذين مارسوا عمليات الكشف خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر.

كان تطوير الشق الافريقي للامبراطورية العمانية في عهد السيد سعيد بن سلطان عامل جذب للقوى الأجنبية لكي تسعى إلى تقوية علاقتها بالامبراطورية ككل ولكي تحصل على متاجر زنجبار بصفة خاصة... وكانت الولايات المتحدة الامريكية أول القوى الأجنبية في التطلع إلى فتح أسواق زنجبار أمام التجار الامريكان لبيع السلع الامريكية من ناحية ولشراء المنتجات والسلع في الشق الافريقي من الامبراطورية العمانية من ناحية أخرى.

وقد بدأت مقدمات العلاقات التجارية بين الامبراطورية العمانية والولايات المتحدة الامريكية حينما زار التاجر الامريكي الكابتن (ادموند روبرتس) Edmond Robertes الذي ينتمي إلى نيوهامبشير في عام ١٨٢٧م زنجبار متطلعاً إلى تحقيق كسب مادي كبير هناك ولكنه لم يجد التسهيلات التي يلقاها البريطانيون هناك أصدقاء السيد سعيد بن سلطان ومن ثم عاد إلى الولايات المتحدة يحمل فكرة عقد معاهدة مع الامبراطورية العمانية لكي تروج التجارة الامريكية في ممتلكات الامبراطورية(١١).

وافق الرئيس الامريكي (اندرو جاكسون) Andrew Jackson على فكرة عقد معاهدة تجارية بين الولايات المتحدة والامبراطورية العمانية وعهد إلى ادموند روبرتس باجراء المفاوضات اللازمة والتوصل إلى المعاهدة المنشودة وكان وصول السفينة الامريكية (بيكويك) حاملة بعثة روبرتس إلى مسقط دليلاً ليس فقط على الاهتمام الامريكي بكل من آسيا وافريقيا بل وأيضاً كون الامبراطورية العمانية دولة ذات أهمية بارزة.

تم توقيع المعاهدة التجارية بين الامبراطورية العمانية والولايات المتحدة في الحادي والعشرين من سبتمبر ١٨٣٣م، وكانت أول اتفاقية يعقدها السيد سعيد بن سلطان مع دولة كبرى، وقد صارت تلك الاتفاقية المثل الذي سارت على منواله معاهدات عمان مع بريطانيا عام ١٨٣٩م ومع فرنسا عام ١٨٤٤م. وقد ظلت الاتفاقية الامريكية العمانية سارية المفعول حتى عام ١٩٥٨م حين ابطل مفعولها واستبدلت بمعاهدة جديدة للصداقة والعلاقات الاقتصادية والحقوق القنصلية بين الطرفين.

وبموجب هذه الاتفاقية تمتع الامريكيون في ممتلكات السلطان العربية والافريقية بامتيازات اقتصادية وقضائية... حيث صار التجار الامريكيون يتاجرون في أراضي الامبراطورية وينزلون في موانيها يدفعون ٥٪ فقط رسوماً على البضائع التي يجلبونها إلى الموانئ العمانية وأن يعفوا من دفع أية ضرائب أخرى على الصادرات والواردات وأن يعفوا كذلك من رسوم الارشاد الملاحي في موانئ الامبراطورية... كما صار من حق القنصل الامريكي في عمان فض المنازعات التي تنشأ بين رعايا دولته، ونصت المعاهدة كذلك على حق قنصل

(٩) لوريمر، **دليل الخليج القسم التاريخي**، ج ٦ ص ٣٤٤٢.

(١٠) المصدر نفسه، ج ٣ ص ٧٢٨.

(١١) د. ريتشارد ستيفنس، «استعراض لبداية العلاقة الامريكية التجارية والقنصلية مع سلطنة عمان ومسقط (١٨٣٣ ـ ١٨٥٦)»، **مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية** ص ١٢٢.

الامبراطورية في الفصل في القضايا بين رعايا دولته في الولايات المتحدة[١٢].

وفي تقييمنا للاتفاقية التجارية الامريكية العمانية نلاحظ ان الاتفاقية عززت أهمية السيد سعيد بن سلطان وقدرته على الدخول في اتفاقية مع دولة كبرى، مما جعله يميل إلى كسب المزيد من رضا الامريكيين فيعرض عليهم امتيازات تجارية خاصة في شرق افريقيا على أن يقفوا بجواره ويساعدوه بالسلاح لاخضاع (مومباسا) لسيادته. ولم يغضبه عدم استجابة الامريكيين لطلبه.

كما ان عقد السيد سعيد بن سلطان اتفاقية مع دولة كبرى جعله في موقف الندية ويستند إليه في مواجهة القوى الكبرى الأخرى - خاصة انجلترا وفرنسا - في تحقيق نفع له ولسلطته تكسب مكانة دولية وتكسب الامبراطورية اعترافاً دولياً تسعى إليه الأقطار الحديثة ذات الحكومات الناشئة في كل من افريقيا وآسيا، بل وامريكا اللاتينية.

وعلى الجانب الامريكي فقد استقبل الرئيس الامريكي اندرو جاكسون رسالة السلطان التي حملها ادموند روبرتس مع نص الاتفاقية عند عودته إلى الولايات المتحدة بكل تقدير حيث اكدت الرسالة على تمنيات السيد سعيد الطيبة للرئيس الامريكي وشكره على الرسالة التي حملها إليه روبرتس التي حملت المودة والتقدير من الرئيس الامريكي للسيد سعيد.

ومما جاء في رسالة السيد سعيد للرئيس جاكسون: «ولقد استجبت من كل النواحي لرغبات معالي سفيركم روبرتس وذلك بابرام معاهدة صداقة وتجارة بين بلدينا العزيزين... هذه المعاهدة التي سنتقيد بها بكل إخلاص أنا ومن يخلفني في الحكم وتستطيع سيادتكم أن تطمئن بأن كل السفن الامريكية التي ترسو في الموانئ التابعة لي ستلقى نفس المعاملة الكريمة التي تلقاها في موانئ بلادكم السعيدة التي يسود فيها الهناء... وآمل من كل قلبي بأن سيادتكم ستعتبرني صديقك الدائم والحميم، وان صداقتي لسيادتكم لن تزول مع الأيام، بل ستستمر زيادة في الرسوخ إلى الأبد»[١٣].

ونتيجة لما جاء في الرسالة وما احتوته الاتفاقية من نصوص تؤكد على العلاقة مع الولايات المتحدة فقد كان وقع الاتفاقية في الولايات المتحدة طيباً، وتمت مصادقة كل من الرئيس جاكسون والكونجرس دون ابطاء. كيف لا والاتفاقية لم تحمل الولايات المتحدة أية التزامات نحو الامبراطورية العمانية، كما ان الولايات المتحدة قد أصبحت مرتبطة بصداقة إحدى القوى الآسيوية الافريقية التي تفخر بامتلاكها اسطولاً أكبر من الأسطول الامريكي... إذ كان أسطول الامبراطورية العمانية مكوناً من حوالي خمس وسبعين سفينة مختلفة الأحجام كل منها مزودة بعدد من المدافع يتراوح بين أربع وست وخمسين مدفعاً... كما ان السفن العمانية التجارية - وكما لاحظها المبعوث الامريكي روبرتس - تبحر شرقاً إلى الهند وسيلان وجاوة إلى جانب موانئ شرق افريقيا.

ويمكن أن نضيف أنه رغم أن الاتفاقية احتوت نصاً على أن يكون من حق القنصل الامريكي في الامبراطورية العمانية الفصل في المنازعات بين رعاياه، وأن يكون من حق القنصل العماني إذا وجد في الولايات المتحدة الفصل في الخصومات التي قد تنشأ بين المواطنين العمانيين هناك، فإن هذا النص كان لصالح الولايات المتحدة أكثر من كونه في صالح الامبراطورية العمانية إذ لم يكن من المحتمل أن يقوم مواطنون عمانيون بالإقامة والاتجار في الولايات المتحدة وإن كان تخلص السيد سعيد من مسؤولية الفصل في الخصومات التي تقع بين الأجانب المقيمين في عمان قد يجنبه كثيراً من المشاكل.

وكان رد الفعل البريطاني نحو الاتفاقية الامريكية العمانية يدل على السياسة البريطانية نحو منطقة الخليج العربي وشرق افريقيا والمحيط الهندي بصفة عامة، تلك السياسة التي تقوم على الانفراد بالنفوذ دون منافس من قوة كبرى خارجية أو حتى داخلية. وفي سبيل ذلك قيدت مشايخ امارات الساحل العماني أواخر العقد الثاني من القرن التاسع عشر بمجموعة اتفاقيات اعقبت القضاء على قوة القواسم في رأس الخيمة، تقضي بسيطرة النفوذ البريطاني دون منازع وحرمان تلك الامارات من عقد اتفاقات حتى ولو كانت تجارية دون موافقة الحكومة البريطانية.

وبحكم الصداقة التي قامت بين السيد سعيد وبريطانيا فقد تلقى السيد سعيد تحذيراً بريطانيا من أن تكون للولايات المتحدة اطماع في شرق افريقيا ومن ثم يجب عدم قبول النشاط الامريكي المتزايد في ممتلكات الامبراطورية وتفهم السيد سعيد وجهة النظر البريطانية وعرض على البريطانيين عقد معاهدة مشابهة للمعاهدة مع الولايات المتحدة.

ورغم أن الولايات المتحدة لم يكن من سياستها التدخل في

(١٢) المصدر نفسه، ص ١٢٥.

(١٣) المصدر نفسه، ص ١٢٦.

الأمور الداخلية في عمان أو في غيرها من الأقطار التي توجد معها اتفاقيات تجارية وأن جل اهتمام الامريكيين هو الاتجار مع الأقطار الأخرى، ورغم ان البريطانيين تأكدوا أن الامريكيين لا يسعون إلى تكوين مستعمرات في الممتلكات الافريقية للامبراطورية العمانية إلا أن السيد سعيد تفهم الموقف البريطاني فقصر العلاقة بينه وبين الامريكيين على النواحي التجارية فقط... وعقد مع البريطانيين معاهدة تشبه في نصوصها المعاهدة مع الامريكيين وذلك عام ١٨٣٩م.

وقد أدت الاتفاقية الامريكية العمانية التجارية إلى ازدهار التجارة الامريكية في الممتلكات الافريقية للامبراطورية العمانية أكثر من ازدهارها في مقر الامبراطورية بمسقط، إذ تزايد عدد السفن الامريكية التي ترسو في زنجبار وتحمل قماشاً قطنياً أمريكياً متيناً سرعان ما شاع استعماله في شرق افريقيا والخليج العربي والجزيرة العربية، إلى جانب الأدوات المنزلية والبنادق والبارود والساعات والأحذية، وفي المقابل تحمل من زنجبار القرنفل والعاج وصمغ الكوبال الذي يستخدم في تحضير الطلاء، ولب جوز الهند المجفف والتوابل[١٤].

ونتيجة لازدياد النشاط التجاري الامريكي في ممتلكات الامبراطورية العمانية لشرق افريقيا فقد اختارت الحكومة الأمريكية أحد رعاياها ويدعى (المستر ريتشارد ووترز) Richard Waters عام ١٨٣٦م ليكون أول قنصل أمريكي في مسقط ذاتها في عام ١٨٣٨م.

إلا أن النشاط التجاري الامريكي مع زنجبار كان أكثر بصورة واضحة من ذلك النشاط مع مسقط فعلى سبيل المثال زارت مسقط خلال العام ١٨٣٨ - ١٨٣٩م ثلاث سفن امريكية فقط، بلغت قيمة البضائع التي افرغتها في ميناء مسقط حوالي ١١٠٠ دولار فقط. وكان التمر يمثل ركناً أساسياً في التجارة الامريكية العمانية حتى الحرب العالمية الأولى، فكانت السفن الامريكية تنقل من مسقط كميات كبيرة منه إلى الولايات المتحدة.

وقد ظلت العلاقة بين الامبراطورية العمانية والولايات المتحدة الامريكية ودية حتى منتصف القرن التاسع عشر أي على مدى ما يقرب من عشرين سنة منذ عقدت الاتفاقية التجارية بين الطرفين عام ١٨٣٣م ولكن حدث أن اضطربت تلك العلاقة نتيجة عدة عوامل منها:

١ - رغبة السيد سعيد في تعديل المادة الثانية من معاهدة الصداقة والتجارة المعقودة بين الطرفين عام ١٨٣٣م التي تنص على ان من حق التجار الامريكيين دخول كل الموانئ الخاضعة للسلطان واصر السلطان سعيد على ان المادة الثانية تشير - في رأيه - إلى أن هذا الحق كان يقتصر على ميناء رئيسي واحد هو ميناء زنجبار ولم ترغب الحكومة الامريكية في الاستجابة لطلب السلطان فتحرم تجارها بصفة رسمية من التجارة في بقية موانئ الامبراطورية خشية أن تفتح هذه الموانئ أمام تجار دول أخرى.

٢ - الخلافات بين السيد سعيد والامريكيين حول مدى السلطة القنصلية الامريكية في عمان على الرعايا الامريكيين، وقد فجر هذا الخلاف ارتكاب بحار امريكي جريمة قتل في حق مواطن عربي... كما فجره الخلاف الذي كثيراً ما كان ينشب بين الرعايا الامريكيين في الامبراطورية وبين التجار الهنود المعروفين باسم البانيان - الهندوس من غير ذوي الكتاب - والمشمولين بالحماية البريطانية[١٥].

وقد لعب القنصل الامريكي في زنجبار شارلس وارد Chaeles Ward الذي تسلّم مهامّ وظيفته في الجزء الافريقي من الامبراطورية العمانية بتاريخ ٢٤ يناير ١٨٤٦م، دوراً في سوء العلاقة بين السيد سعيد والولايات المتحدة مما ادى إلى قطع العلاقة بين البلدين في يوليو ١٨٥٠م، واعتقد وارد أن القنصل البريطاني في زنجبار كان وراء سوء العلاقة بين الولايات المتحدة وعمان، وتوقع تفكك الامبراطورية بعد وفاة السيد سعيد، واشاع ذلك مما اغضب السيد سعيد.

ورغم ان السيد سعيد كان حريصاً على استمرار العلاقة مع الولايات المتحدة فإنه اضطر إلى توقيف تلك العلاقة بعد ان استنفد الوسائل المتاحة لكي يحل المشكلات التي اثيرت بين الطرفين... فقد بعث السيد سعيد برسالة إلى الحكومة الامريكية في سبتمبر ١٨٤٧م إلا أنه لم يتلق رداً عليها مما دفعه إلى التمسك بتفسيره للمادة الثانية للمعاهدة المعقودة بين البلدين... وكانت الرسالة تطلب ضمانات امريكية محددة حول المدى المحدد للتجارة الامريكية في سواحل افريقيا الشرقية التابعة للامبراطورية العمانية، وتطلب تحديداً للاختصاصات القضائية للقنصل الامريكي في عمان، ووقف أي تدخل في الشؤون الداخلية للامبراطورية من جانب القنصل الامريكي.

وارادت الولايات المتحدة ألا تفقد صداقة السلطان فأرسل

(١٤) دونالد هولي، **عمان ونهضتها الحديثة**، ص ١٨٧.

(١٥) د. ريتشارد سيتفنس، المصدر نفسه، ص ١٣٠.

الرئيس الامريكي (ميلارد فيلمور) رسالة ودية حملها مبعوثه إلى السيد سعيد ويدعى (الكومودور اوليك) وغادر القنصل وارد إلى الولايات المتحدة وعندما وصل اوليك إلى زنجبار في أول ديسمبر عام ١٨٥١م اجتمع مع التجار الامريكيين قبل أن يسلم رسالة الرئيس الامريكي للسيد سعيد، وعرف منهم مدى صداقة السيد سعيد وحسن معاملته لهم، وأنه لم يسئ للعلم الامريكي كما ادعى القنصل (وارد) وأنهم يتمتعون بامتيازات في الامبراطورية تفوق ما يتمتع به غيرهم من التجار الأجانب.

وعندما غادر المبعوث الامريكي (اوليك) زنجبار ترك أثراً طيباً بين أهلها وحكامها، وتحمل القناصل الامريكون منذ عام ١٨٥٢م مسؤولية العمل على تحسين العلاقات بين السلطنة والولايات المتحدة الامريكية... وبالفعل امتلأت تقارير هؤلاء القناصل بالإشادة بروح المودة التي يبديها السيد سعيد نحو الامريكيين وان العلاقات التجارية بين البلدين ثابتة ومستقرة(١٦).

ومما يجدر الإشارة إليه أنه نظراً للاهتمام بالجانب الافريقي من الامبراطورية كان تعيين قناصل امريكيين في زنجبار أسبق من تعيين زملاء لهم في مسقط، بل إن القنصلية الامريكية بمسقط أحياناً ما خلت ممن يشغلها، وأحياناً أخرى تخضع لسلطان القنصل الامريكي في زنجبار، وإذا كان أول القناصل قد وصل إلى زنجبار عام ١٨٣٦م ويدعى (ريتشارد ووترز) - السابق الإشارة إليه - فإن آخر قنصل للولايات المتحدة قد غادر زنجبار عام ١٨٩١م بعد أن خضعت هذه البلاد للسيطرة الانجليزية... بينما تسلم المستر (هنري مارشال) عمله كقنصل للولايات المتحدة في مسقط عام ١٨٣٨م، ثم الغيت القنصلية الامريكية بمسقط في المدة من ١٨٤٥ - ١٨٨٠م، حين عين المستر (ماجبور) Magbour وهو تاجر بريطاني قنصلاً للولايات المتحدة الامريكية في مسقط وفي عام ١٨٨١م اعترفت به فرنسا قنصلاً لها أيضاً في عمان.

ورغم أن العلاقة بين الامبراطورية والولايات المتحدة خلال الفترة الممتدة من الاتفاقية التجارية لعام ١٨٣٣م ولمدة مائة عام تقريباً لم تعتبر ذات أهمية بالغة من وجهة نظر أي من الطرفين إلا أن وجودها في حد ذاته كان يبشر بعهد جديد في مجال العلاقات الدولية.

رابعاً: زيارة سفينة السيد سعيد لنيويورك

تمشيا مع السياسة الودية بين الامبراطورية العمانية والولايات المتحدة التي بدأت مع معاهدة الصداقة والتجارة التي عقدت بين البلدين عام ١٨٣٣م... بعث السيد سعيد سفينته المسماة (سلطانة) في رحلة إلى ميناء نيويورك الامريكي عام ١٨٤٠م لتقوية العلاقات مع الولايات المتحدة وللمتاجرة وشراء الأسلحة التي كان في حاجة إليها أثناء صراعه ضد الوجود البرتغالي في موزمبيق وتولى قيادة هذه السفينة ربان بريطاني يدعى (وليام سليمان) William Soliman واختار السيد سعيد أمين سره الخاص الحاج أحمد بن نعمان ليكون ممثلاً له في الولايات المتحدة، بل أول مبعوث عماني إلى الولايات المتحدة.

وقد حمل الحاج أحمد بن نعمان معه هدية السيد سعيد للرئيس الامريكي وكانت عبارة عن جوادين عربيين، وبعض الجواهر وسيف مطعم بالذهب إلى جانب العطور، وقد اهدى الرئيس الامريكي للسيد سعيد باخرة كبيرة مؤثثة بأثاث فاخر إلى جانب أربعة مسدسات تلقائية الدوران وبندقيتين تلقائيتي الدوران كذلك.

كما حملت السفينة (سلطانة) أكثر من ألف من أجولة التمر العماني وحوالي عشرين بالة من السجاد الايراني، ومائة كيس من قهوة (مخا) و١٠٨ من أنياب العاج وحوالي ثمانين جوالاً من صمغ الكوبال الراتينجي، و١٣٥ جوالاً من القرنفل، وألف جلد من جلود الحيوان المجففة، وهذه الحمولة بيعت لحساب السيد سعيد في نيويورك(١٧).

وحملت (سلطانة) من نيويورك بضائع متنوعة تتألف من ١٢٥ بالة من الملاءات الرمادية تسمى (ميركاني) و٢٤ ثوباً من قماش قرمزي اللون و١٣ حقيبة من الخرز الأحمر والأبيض والأزرق، وعشرين دستة من القماش المطبوع، و٣٠٠ بندقية، وبارود وأطباق من الصيني، وبعض الأشياء الشخصية للسيد سعيد(١٨).

وعندما وصلت (سلطانة) إلى ميناء نيويورك لقي ركابها العرب بعض المضايقات من بعض الامريكيين إذ أثار منظر العرب العمانيين بملابسهم المميزة انتباه الناس في الشوارع نيويورك فتعقبوهم في السير، إلا ان هذه المضايقات سرعان ما

(١٦) المصدر نفسه، ص ١٣٣.
(١٧) دونالد هولي، المصدر السابق، ص ١٨٨.
(١٨) المصدر نفسه، ص ١٨٩.

ضاع أثرها حين لقي ركاب السفينة سلطانة كل تكريم وترحيب من محافظ بروكلين ومن رئيس نادي البحرية في نيويورك، وصدرت أوامر الرئيس الامريكي (فان بورين) Van Buren ووزير بحريته بادخال السفينة سلطانة إلى حوض الأسطول الامريكي وتجهيزها للابحار على نفقة الحكومة الامريكية... ومن ثم شحنها بالمنتجات الامريكية التي اشرنا إليها لتعود بها إلى السيد سعيد.

استغرقت رحلة السفينة سلطانة حوالي عشرة أشهر منذ خرجت من زنجبار حتى عادت إليها، وقاد رحلة العودة إلى أرض الوطن ربان أمريكي استطاع أن يجتاز بها المحيط الاطلنطي بأمواجه المضطربة بسلام، عادت وعليها مبعوث السيد سعيد الحاج أحمد بن نعمان بعد أن أتم مهمته على خير وجه فكان خير سفير لبلده في تلك البلاد البعيدة.

وإن دلت رحلة السفينة (سلطانة) إلى نيويورك على شيء فإنما دلت على رغبة كل من امبراطورية عمان في عهد السيد سعيد بن سلطان والولايات المتحدة الامريكية في تقوية واستمرار العلاقات الودية بين الطرفين وخاصة في المجالات الاقتصادية وهي المجالات التي كانت تستهوي التجار الامريكيين أكثر من أي شيء آخر... في الوقت الذي لم تكن فيه حكومة الولايات المتحدة الامريكية راغبة في التدخل في المشكلات السياسية انطلاقاً من سياسة العزلة التي سارت عليها منذ اعلنت استقلالها عن انجلترا.

خامساً: أهمية الصلات بين الامبراطورية والولايات المتحدة الامريكية على المستوى الخليجي والعربي والعالمي

كان للعلاقات بين الامبراطورية العمانية والولايات المتحدة أثر هام على موقف كل من البلدين فقد استفادت الولايات المتحدة بازدهار تجارتها لأكثر من نصف قرن من الزمان، بل إن هذه التجارة فاقت التجارة البريطانية في ممتلكات السلطان العماني. وقد شهدت السنوات ما بين ١٨٣٣ - ١٨٥١م تصاعداً مستمراً في أرباح التجارة الامريكية، ففي عام ١٨٣٣م كان مجموع السفن الامريكية التي وصلت إلى زنجبار تسع سفن بينما كان عدد السفن الانجليزية أربع سفن فقط، وارتفع عدد السفن الامريكية التي وصلت إلى زنجبار عام ١٨٥٦م - وهي سنة وفاة السيد سعيد - إلى ست وعشرين سفينة بينما لم يتجاوز عدد السفن البريطانية اثنتين، وهذا يعني ان السيد سعيد قد ضمن للولايات المتحدة تطويراً لمصالحها في المنطقة.

وعلى الجانب الآخر فقد استفادت عمان في علاقتها بالولايات المتحدة في أن الوجود التجاري الامريكي القوي في الامبراطورية قد جعل مسألة سيادة تلك البلاد واستقلالها عند وفاة السيد سعيد أمراً ثابتاً لا يحتاج إلى نقاش وحتى بعد انقسام الامبراطورية بين ولدي السيد سعيد... ماجد في زنجبار وثويني في مسقط... فقد بقيت السلطنة في مسقط بعيدة عن أي نزاع استعماري لأن سيادتها ضمنتها اتفاقيات دولية بينما وقعت زنجبار فريسة للاستعمارين الانجليزي والألماني.

وقد أشار تقرير عن السياسة الخارجية الامريكية عام ١٩٤٦م نحو امارات الخليج العربي عامة وسلطنة عمان خاصة[١٩] بأنه في الوقت الذي تعترف فيه الولايات المتحدة بالوضع الخاص لبريطانيا العظمى في امارات الكويت والبحرين وقطر والساحل العماني المتصالح، فإنّ سياستنا - أي سياسة الحكومة الامريكية - نحو هذه المنطقة تعتمد على أن الوضع البريطاني الخاص في هذه الإمارات لن يؤدي إلى الحاق الضرر بالمصالح الامريكية أو مصالح السكان المحليين والحكومات القائمة... وأن سياستنا نحو سلطنة عمان تستند على واحدة من أقدم معاهداتنا التي ما زالت نافذة المفعول وهي معاهدة الصداقة والتجارة الموقعة بين الطرفين في الحادي والعشرين من سبتمبر ١٨٣٣م.

ويضيف التقرير مؤكداً على أهمية العلاقة بين الولايات المتحدة وسلطنة عمان مشيراً إلى أن الذكرى المئوية لتوقيع المعاهدة المشار إليها والتي أحييت في مارس ١٩٣٤م تميزت بزيارة قامت بها بعثة دبلوماسية امريكية خاصة لمسقط، وفي عام ١٩٣٧م استقبل الرئيس الامريكي (فرانكلين رزفلت) Franklin Roosevelt في واشنطن السلطان سعيد بن تيمور سلطان عمان كضيفه الخاص.

واختتم التقرير سرده للأحداث المقارنة بين تلك المعاهدات التي وقعتها الامارات العربية الخليجية مع بريطانيا العظمى ابتداء من أوائل القرن التاسع عشر وبين المعاهدات العمانية البريطانية، فالامارات العربية الخليجية تعهدت لبريطانيا منذ عام ١٨٢٠م بالمساعدة للقضاء على القرصنة في الخليج العربي ووضع حد لدخول السلاح والرقيق إلى بلادهم. وعن طريق

(١٩) Memorandum Prepared in the Department of State (secret) Washington, March 15, 1946, No. 790 0014 - 946 - Current U. S. Policy toward the Arab Principalities of the Persian Gulf and the Gulf of Oman.

سلسلة من المعاهدات اعطى حكام الامارات للبريطانيين حق استغلال أراضيهم مقابل الحماية البريطانية. وفيما بين عامي ١٩١٣ ـ ١٩٢٣م ربط حكام الامارات العربية الخليجية أنفسهم أكثر بالتعهد بعدم اعطاء امتيازات للبحث عن البترول في أراضيهم لأية دولة أخرى دون موافقة وقبول البريطانيين، بينما وافق سلطان عمان في عام ١٩٢٣م على مجرد استشارة الوكيل السياسي البريطاني في الخليج وحكومة الهند البريطانية قبل البحث عن البترول في سلطنته.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

JOURNAL OF ARAB HISTORIANS



Office of the General Secretary
Iraq - Baghdad - P.O. Box 4085
Cable: MOARKHEEN Baghdad